وهذه الاية ومعناه انى لا ادعى علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طلبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر
ان قدرته قاصرة عن علم الغيب **فان قلت** قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت احاديث
في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير **قلت** يحتمل ان يكون قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان
يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به
كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ويكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك
اظهره الله تعالى على شي من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
تحصيل هذا الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم
بقيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة ان انا الا نذير يعني
ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا وبشير يعني وابشر بثوابه لقوم يؤمنون
يعني يصدقون قوله عز وجل هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني ادم عليه السلام وجعل منها زوجها يعني وخلق
منها زوجها حوى وقد تقدم خلق حوى من ضلع ادم في اول سورة النسا ليسكن اليها يعني ليانس بها ويأوي اليها
فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لان الجماع اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها
اذا علاها وتجلاها حملت حملا خفيفا يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها فمرت
به يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها فلما اثقلت اي صارت الى حال الثقل
وكبر ذلك الحمل ودنت مدة ولادتها دعوا الله ربهما يعني ادم وحوى دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا يعني لئن
اعطيتنا بشرا سويا مثلنا لنكونن من الشاكرين يعني على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحوى الى الارض
القيت الشهوة في نفس ادم فاصاب حوى فحملت من ساعتها فلما اثقلت الحمل وثقل الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي
في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا وما ترين في الارض الا بهيمة او نحوها
قالت اني اخاف بعض ذلك وقال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك او من فيك او يشق بطنك فيقتلك
فخافت حوى من ذلك فذكرته لادم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال اني من الله عز وجل بمنزلة فان دعوت الله
ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث لان اسم ابليس في الملائكة الحارث فذكرت
ذلك حوى لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد
الحرث وقال ابن عباس كانت تلد حوى لادم فسمته عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما
ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حوا طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد
الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث
عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك وحي الشيطان يعني من وسوسته وحيلته
كما جاء انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض وقال ابن عباس لما ولد له اول ولد اتاه ابليس فقال ساصنع لك
في شانه ولكن سمه عبد الحرث وكان اسمه في السما الحرث فقال اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل
الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد اخر فقال اطعني والا مات كما مات
الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله عز

وجل

وجل فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما قال ابن عباس اشركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك
بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك ادم ولا حوى
وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو
قوله جعلا له شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ
شركا بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شركا اذ سميا ولدهما
عبد الحرث يعني قال العلما ولم يكن ذلك شركا في العبادة ولا ان الحرث ربهما لان ادم عليه السلام كان نبيا
معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة
امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر ع واني لعبد الضيف ما دام ثاويا ت
اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما قام عنده مع بقا الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام
بحقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه
السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك قال واما الخبر عن ادم
بقوله جعلا له شركا فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها
فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلما وعلى هذا فقد تم الكلام عند
قوله فيما اتاهما ثم ابتدا في الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله عما يشركون نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين
من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد ادم وحوى لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع
وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به ما سبق في معنى الاية تستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا
ما اتيا به من الاشراك في التسمية وكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفي معنى الاية قول اخر وهو انه
راجع الى جميع المشركين من ذرية ادم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركا فحذف ذكر الاولاد
واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الاباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير به اليهود الذين
كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اي وجعل من جنسها زوجها ادمية
مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم
من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم
ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى
ايشركون قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقوله بالياء على الغيبة ما لا يخلق شيا يعني ابليس والاصنام وهم يخلقون
اي وهم مخلوقون **فان قلت** كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون **قلت**
ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم
يخلقون رعاية لجانب المعنى **فان قلت** كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس
قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بنا على ما يعتقدونه ويتصورونه
وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا تنتصر ممن عصاها والنصر
المعونة على الاعدا والمعبود الذي تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام
ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى ولا انفسهم ينصرون يعني لا يقدرون على ان يدفعوا عن
انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه ثم خاطب المؤمنين فقال تعالى وان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)